مرة في الجنة ومرة في الارض هو قول كثير كمجاهد وسعيد بن المسيب وهذا كما
قال البغوي ليس اشراكا في العبادة ولا ان الحارث ربهما فان آدم كان نبيا
معصوما من الشرك ولكن قصدا الى ان الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة
امه وقد تطلق اسم العبد على من لا يراد به انه مملوك كما تطلق اسم الرب
على من لا يراد به انه معبود هذا كالرجل اذا نزل به ضيف يسمي نفسه
عبد الضيف على وجه الخضوع لا على وجه ان الضيف يملكه قال الشاعر
واني لعبد الضيف ما دام ثاويا . ولا شيمة لي غيرها تشبه العبدا
وتقول للغير انا عبدك قال الراغب ورايت بعض الافاضل كتب على عنوان
عبده وكذلك ولدان وقال يوسف عليه السلام لعزيز مصر انه ربي ولم يرد
به معبوده كذلك هذا فقوله تعالى عما يشركون ابتداء كلام واريد به اشراك
اهل مكة وقرا نافع وشعبة شركا بكسر الشين وسكون الراء والتنوين
منونة بعد الكاف في الوصل وفي الوقف بغير تنوين اي شركة والباقون
بضم الشين وفتح الراء وبعد الكاف الف بعدها همزة مفتوحة فان قيل
اطاع ابليس فكيف يعبر بالجمع اجيب بان من اطاع ابليس فقد
اطاع جميع الشياطين هذا ان حملت هذه الاية على القصة المشهورة
اما اذا لم تقل به فلا حاجة الى التاويل ولا يستطيعون اي الاصنام
لهم اي لعابديهم نصرا اي لا تقدر على نصر من اطاعها وعبدها ولا نصر من
عصاها والمعبود الذي تجب عبادته يكون قادرا على ايصال النفع
والضر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل ان يعبدها ولا
انفسهم ينصرون اي وهي لا تقدر على نصر من اطاعها وعبدها ولا نصر
من عصاها والمعبود الذي تجب عبادته ان تدفع عن نفسها مكروها
فان من اراد كسرها قدر عليه وهي لا تقدر على دفعه عنها والاستفهام
للتوبيخ ثم خاطب المؤمنين بقوله تعالى وان تدعوهم اي المشركين

الى

الى الهدى اي الاسلام لا يتبعوكم اي لان الله تعالى حكم عليهم بالضلالة
فلا يقبلوا الهداية وقرا نافع بسكون التاء وفتح الباء الموحدة والباقون
بفتح التاء مشددة وكسر الباء الموحدة سواء عليكم ادعوتموهم الى الهدى ام انتم
صامتون اي ساكتون عن دعائهم فهم في كلا الحالتين لا يؤمنون وقيل
الضمير في تدعوهم للاصنام اي ان هذه الاصنام التي يعبدها المشركون
معلوم من حالها انها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع لمن دعاها الى خير وهدى
وذلك ان المشركين كانوا اذا وقعوا في شدة وبلاء تضرعوا الى اصنامهم
واذا لم يكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا فقيل لهم لا فرق بين دعائكم
الاصنام وسكوتكم عنها فانها عاجزة على كل حال ان الذين تدعون اي
تعبدون من دون الله عباد اي مملوكة امثالكم نفي لا تملك ضرا ولا نفعا
فان قيل كيف وصفها بانها عباد مع انها جماد اجيب بان المشركين
لما ادعوا بان الاصنام تضر وتنفع وجب ان يعتقدوا فيها كونها عاقلة
فاهمة فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا ولذلك
قال فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في كونها آلهة ولم يقل
فادعوهن فليستجبن وقال ان الذين ولم يقل التي وبان هذا اللفظ
انما ورد في معرض الاستهزاء بالمشركين لانهم لما نحتوها بصورة الاناسي
قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون
عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض فلم جعلتم انفسكم عبيدا وجعلتموها
آلهة وارباباً ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالكم بقوله تعالى الهم ارجل
يمشون بها ام لهم اذان يسمعون بها وهذا استفهام انكاري ليس
لهم شيء من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وانتم اتم حالا منهم اذ لا يليق
بالانسان العاقل ان يشتغل بعبادة الاخس الادون الارذل ونظير
هذا قول ابراهيم الخليل عليه السلام لابيه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)